القومية العربية في شعر المهجر

د. خالد علي إدريس محمد

المقدمة:

أن انتقال الأدب يجعله يفيد ويستفيد، ويأخذ ويعطي، وينمو وينمي، وهجرة الأدب عامل ثراء وخصوبة ، تستمد هذه الخصوبة من البيئة ذات الطبيعة الجديدة التي تبعث على توليد الجديد من الأفكار، وتوحي بوفير المعاني، في هذا الجانب حظي الأدب المهجري بعناية الدراسيين ونقاد الأدب ومازال كذلك إلى الآن لم يثبر غوره،لما فيه من عظيم المعاني والموضوعات، ويعد أدب المهجر عموما من فتحا عظيما للأدب الحديث عموما، وادخل الأدب المهجري معان جديدة ومواضيع حديثة بعد ظل أدبنا القديم يرزح في مغارة التاريخ مغمضا عينيه عن مستجدات الحياة مكتفيا باجترار الذكرى من كتب التاريخ واللهاث خلف القديم من المعاني، وقد خرج الشعر المهجري من رحم المعاناة مبشرا بالجديد من المعاني والموضوعات، متميزا بصدق الشعور ونزعة التجديد والغيرة على حاضر الأمة و مستقبلها متزودا بالثقافة العربية الأصلية ممزوجة بالثقافة الغربية التي هاجر إليها، مستفيدا من ارض تترعرع فيها ووجد فيها الحرية والأمان، فاخذ ينادي بالحرية التي يبحث عنها، واخذ يتغني بأمجاد امة العرب في قومية وجدت صداها عند شعرائه، فتغنوا ومجدوا أمتهم ونادوا بالحرية لأوطانهم والصغيرة ووطنهم الكبير في قومية عربية أخذنا من صداها هذا البحث المتواضع فبينا فيه ما جادت به قريحة هؤلاء الشهر المهجريين من أقوالهم في الشعر القومي العربي، وقد بينا أيضا فيه مفهوم القومية العربية معني لغويا واصطلاحيا، حيث تناولنها من الناحية الأدبية وليست من الناحية السياسية، ثم أوضحنا المعني الشامل للقومية منذ العصر الأولى (العصر الجاهلي والعصور التي تلته) إلى أن بينا مفهومها عند شعراء المهجر.

وتناولنا القومية في شعر المهجر من عدة جوانب: الجانب العام الذي تكلم عن المفهوم العام الشامل، والجانب الثاني تناولنا فيه التسامح الديني باعتباره رافدا مهما من روافد القومية العربية، ثم تناولنا أيضا القضية الفلسطينية باعتبارها قضية قومية وقد ذكرها شعراء المهجر كثيرا في أشعارهم. وهناك الكثير من الموضوعات التي يضمها في طيه موضوع القومية العربية لا يسع المجال هنا لذكرها، وربما نرجئها إلى بحث آخر بإذن الله.

معنى القومية العربية:

القومية فكرة وضعية نشأت في البلاد الأوربية كغيرها من الأفكار التي تبحث عن التفلت من الرابط الديني وقد اختلف دعاتها في مفهومها والفهم الصحيح لها.

إن كلمة قومية تعني في مفهومها العام تجمع امة من الناس وارتباط بعضهم ببعض هدفا وسلوكا وغاية ، أما انتمائهم إلى لغة واحدة، وإما انتمائهم في عيشة مشتركة، أو كليهما معا، اللغة والعيش في مكان واحد. او هي الاشتراك في اللغة والبلد الواحد، كما يرى الكثير من دعاة القومية في البلاد العربية، بحيث يشعرون أنهم جميعا كتلة واحدة لا يفرقهم دين أو وطن أو جنس، وإنما ما يجري على بعضهم من الم وما تأتيهم من آمال في نظرتهم لفهم القومية يجري على الكل، وعلى هذا المفهوم ترسخ عندهم مفهوم القومية العربية.

هناك خلاف حاد بين دعاة القومية أنفسهم على التعريف الصحيح للقومية نفسها، وان اتفق الكل على على إبعاد الدين عن هذا المفهوم.

معنى القومية في بعض المعاجم العربية تعني: أن القومية صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس والمنافع واللغة ووحدة التاريخ والهدف وتنتهي بالتضامن والتعاون والوحدة.

هذا التعريف يضم مجموعة من الصفات والمميزات والخصائص والإرادات التي الفت بين العرب وكونت منهم امة واحدة تنادي بها القوميون وهي وحدة الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والمطامح والآلام والجهاد المستمر في مواجهة الصعاب،و العمل معا في مجال

المصالح المشتركة بين أبناء الأمة الواحدة. هذا من مفهوم سياسي.

إذا عدنا إلى المفهوم الأدبي نجد انه لا ينفصل عن المفهوم السياسي، فالأدب وليد المواقف سوا كانت سياسية أو غير ذلك ن ونما هذا المفهوم القومي عند الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى الآن، وازداد هذا المفهوم تعمقا عند شعراء المهجر؛ لان شعرهم وليد غربة عن الأوطان، لذلك نراهم قد تمسكوا بمفهوم القومية العربية وتنادوا بوحدة العالم العربي والدعوة للوقوف سدا منيعا في مواجهة الاستعمار الغربي للدول العربية، وان تعود البلاد العربية جسدا واحدا موحد المصير والهدف.

إن مفهوم القومية – كما ذكرنا سابقا – عند روادها هو البعد عن الدين، ولكن يبتعد هذا المفهوم عند الشعراء إذ يدركون أن الدين لله وان كل الخلق هم عباد الله ولا فرق بينهم، لذلك أتى مفهوم القومية عندهم مفهوم شامل، يستنهض الجميع في الوقوف صفا واحدا كأمة عربية لها كيان ولها ماض عريق ولها حضارة عريقة سبقت الحضارات الأوربية، ويتنادون إلى حماية هذه المكتسبات من أن تضيع في خضم المد الغربي والعرب غافلون عنها، فلا عزة للعرب الا باسترجاع حقوقهم والتمسك بدينهم والحفاظ على حضارتهم.

القومية العربية في الشعر القديم:

وإذا عدنا إلى الوراء قليلا للبحث عن القومية العربية في الشعر القديم منذ العصر الجاهلي نجد أن الدعوة إلى التعصب القبلي موجودة عن شعراء العصر الجاهلي ومنشأها حب القبيلة الموطن الام في ذلك الزمان ومما يؤكد ذلك قول دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية ارشد

يفهم من هذا القول شكل العلاقة التي سادت المجتمع العربي آنذاك وهذا في المفهوم الأدبي يمثل نزعة قومية عند شعراء العصر الجاهلي، إذ يرى من خلاله مفهوم القومية في تلك الحقبة وأن القبيلة هي المسيطرة على الواجدان وإ ن كانت في وطن كبير هو شبه الجزيرة العربية عموما؛ إلا أن داخل هذا الوطن أوطان –هي القبيلة – ولم يتوحد هذا الكيان في وطن واحد إلا بعد ظهور الإسلام، الذي وحد الأمة وجعل الجزيرة العربية وطنا واحدا وكل القبائل أمة واحدة.

مما سبق يتضح أن الحب القبلي في الشعر الجاهلي ، كان هو النواة الأولى لمفهوم القومية العربية في الشعر العربي عموما، وتأثر بذلك أدب العصور اللاحقة أيضا بعد ظهور الإسلام ، باعتبار أن الوحدة العربية أتت بعد الإسلام، فأخذت هذه الجذوة تظهر في الأدب العربي تشتعل، ومما زاد اشتعالها الأزمات التي مرت بها الأمة العربية، مما دعا إلى وحدة الكيان العربي لمناصرة الأمة العربية بعضه بعضا.

ويتضح هذا المفهوم في قول أبي تمام في معركة ذي غار التي تواجه فيها العرب مع الفرس:

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد
وحيد من الأشباه ليس له صحب
به عملت صُهب الأعاجم أنه به
أعربت عن ذات نفسها العرب

بهذا القول يتقاصر أمامه الاهتمام القبلي أمام الاهتمام العربي الجامع؛ حيث كانت القبيلة في العصر الجاهلي مقدمة على كل شي، باعتبارها الوطن الأم، ولكن بعد ظهور الإسلام توسعت رقعة القومية وتوسعت رقعة الوطن وأصبحت كل بلاد العرب وطنا واحد ، وازداد المفهوم شمولا بان كل أ رض وطئتها حوافر خيل المسلمين وطن كل مسلم، وبذلك دانت بلاد غير العرب بدين الإسلام وتكلمت الشعوب غير العربية بلسان عربي فصح، مما أدى إلى توسع مفهوم القومية العربية، وزاد رابطها تماسكا الدين الإسلامي، على الرغم من ظهور بعض النعرات التي ظهرت في العصرين الأموي والعباسي من غير العرب بالمناداة بالرجوع إلى الجذور وإحياء عبادات قديمة ، إلا أن الرابط العربي كان قويا ووقف سدا منيعا أمام هذه الدعوات، وكانت مناداة الشعر ووقوفهم في وجه هذه الدعوات والفخر بالقومية العربية اثر كبير أرست دعائم هذه القومية في نفوس الناس، يقول البحتري:

إن قومي قوم الشريف قديما
وحديثا أبوة وجدودا
معشر أمسكت حلمهم الأرض
وكادت أن تميدا
فإذا المحل جاء جاءوا سيولا
وإذا النقع ثار ثاروا اسودا
يحسن الذكر عنهم والأحاديث
إذا حدث الحديد الحديدا
نحن أبناء يعرب أعرب الناس
لسانا وأنضر الناس عودا

وضح من الأبيات تمرحل نضوج الفكر العربي القومي، وهذا يوضح أن لهذه الفكرة جذور ممتدة منذ القدم ولم تكن

وليدة عصر حديث كما يزعم المنادون بها، فقد تعمقت في وجدان الشعراء أكثر عند النكبات التي ألمت بالأمة العربية آنذاك، وما مأساة فقدان من أيدي العرب الأندلس ا إلا شاهد على نضوج الفكر القومي العربي، والذي أرخه الشاعر أبو البقاء الرندي مناديا العرب للوقوف في وجه المد الصليبي والدفاع عن حمى الإسلام، حيث كان بعض ملوك العرب لاهين في ملكهم:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة
كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة
كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة
لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

هذا بعث وإحياء إلى نخوة عربية للوقوف صفا واحد ونصرة الدين والحضارة في ارض جار عليها الزمان وتقاعس عن نصرتها الأخوان، وين منهم قول امرأة (وا معتصماه) أين تلك الصرخة لننهض معتصم اليوم من مرقده؟

أين تلك الصرخة وامتنا تتمزق كل يوم إربا إربا؟ أين تلك الصرخة ومعتصم اليوم لم يفق من سكرته؟

لهفي على قدس ولهفي على دمشق ولهفي على صنعاء وطرابلس وغير من مدن عربية تحتاج نخوة معتصم يأخذ بيدها، فقد كلت السيوف فهل من سيف باتر؟.

ولأن الأدب سلسلة متواصلة، لم تخبو هذه الجذوة منذ ذلك التاريخ إلى العصر الحديث حيث تسلم هذه الشعلة شعراء المهجر، واخذوا يتغنون بأمجاد العرب محرضين على الثأر من المغتصب، داعين الناس إلى الالتفاف في قومية عربية تكسر سطوة الغرب وترد فلول الغازي مهزومة.

ولعل النزعة أو القومية العربية في شعر المهجر كانت وليدة ظروف وأحداث حدثت على المسرح العربي، أثرت في اتجاهات شعر هؤلاء الشعر، ودفعت بهم إلى الخروج من أوطانهم متجهين إلى الغرب بحاثين عن الحرية والوطن البديل – ولا نريد هنا في الخوض في أسباب هذا الخروج أو كما نسميه الهجرة – بالقدر الذي يدفعنا إلى البحث عن القومية العربية في شعرهم –

القومية العربية في شعر المهجر:

لم تنطفي شعلة القومية العربية في شعر ولد مهاجرا بعيدا عن الأوطان العربية، من أن ينادي بالقومية العربية، ويحث العرب على النضال في سبيل العزة والكرامة، فهاجر هؤلاء الشعراء حاملين همومهم الذاتية من ناحية، وهمومهم القومية من فجيعة أوطانهم وخسف المستعمر بها من ناحية أخرى، فولدت هذه الهجرة شعراً عكس الصورة القومية التي حملوها في دواخلهم، فاستطاعوا نقل هذه الشعلة إلى البلاد التي قطنوها، ونشروا العربية والفكر العربي فيها وأسسوا جمعيات وصحف تكلمت عن العرب وعن حالهم وبلسانهم، وصدحت حناجرهم بشعر بثوا فيه ألامهم وأمالهم، متحدثين عن حالهم وعن أوطانهم، وحملوا هموم أقوام تركوها تعاني الخسف والويلات من المستعمر، وقل أن نجد من شعراء المهجر من لم يتكلم عن القومية العربية في شعره، فقد جند الشاعر القروي نفسه حاميا للعروبة، ناطقاً باسمها متغنياً بمجدها، مترحماً على شهدائها، وداعياً أبناءها إلى الجهاد لاسترداد المجد المسلوب، يقول القروي:

إني لصداحُ العروبةِ طابَ لي
شدوي على سرواتها وتنقلي
ووقفتُ الحاني على المجدِ الذي
أبلى الزمانَ مع العظامِ وما بلي
روى شقائقه وضرجَ وردهُ
مهجُ تسيل على شفارِ الأنصلِ
خلقَ الجهادُ لنا فلو لم يبق من
دمنا سوى ابن غريبةٍ لم يفشلِ
سيفيدَ صرحُ العزِ طوداً شامخاً
ما أحقرَ الماضي لدى المستقبلِ

وشغلت فكر القروي أسباب التفرق والتنشطي في البلاد العربية ، وقد تفرقت الأمة بأسباب التعصب الديني والطائفية، وتفرق أبناء البيت الواحد فاخذ ينادي بعلو صوته لعله يجد من يسمع – وما أحوجنا لمثل هذه الصرخة اليوم – حيث لا يخفي علينا ما نحن فيه من فرقة وشتات، يقول القروي مناديا أبناء الأمة إلى نبذ الفرقة والاختلاف، لافتاً الانتباه إلى وحدة الأديان وسماحتها ووحدة الأمة العربية في بقاع الوطن العربي ،يقول:

يا مسلمون ويا نصارى دينكم
دين العروبة واحد لا اثنان
بيروتكم كدمشقكم ودمشقكم
كرياضكم ورياضكم كعمان
ستجدون الملك من يمن إلى
مصر إلى الشام إلى بغدان
ولو سوف يعلم كل غر جاهل

ماذا تخبي هداة البركان

هذه دعوة للثورة مع التأكد على وحدة الأديان لذلك بوحدة كل البلدان العربية لتقف صفا واحد في وجه الاستعمار ومؤكداً على فريضة الجهاد في الدفاع عن الأوطان.

وهاهو القروي نفسه يحذر الأمة العربية التي طالما حمل همومها في يوم عيد الجلاء الفرنسي عن سوريا، محذراً العرب من أن ينخدعوا بهذا الجلاء الجزئي، وطالما أراده الشاعر انسحابا كاملا من كل البلاد العربية وليس من جزء والبقية ترزح تحت وطأته، حيث تعتبر في نظره فرحة ناقصة ، يقول القروي:

عيدُ الجلاء تغيةٌ إن لم يقمْ
في مصرَ برهانٌ على الدعوى جلي
لا فرقَ برحيله عن جلق
وأخوهُ عن بغداد لم يرحلِ
لا فرقَ إن تزفَ العدو دماءكم
من أشجعٍ أو اخدعٍ أو أكحلِ

الفرحة لم تكتمل في داخل الشاعر، لأن هناك بعض من أرض العرب ما زالت ترزح تحت وطأة الاستعمار، ولا فرق عنده هذا الجلاء من جزء لا يتجزأ عن أرض وطن كامل، فأخذ الشاعر يشحذ الهمم وينادي على بطل يخلص الأمة من الكرب الجاسم على صدرها، ولعله يرنو الى عنترة العبسي أو إلى صلاح الدين أو إلى ابن زياد، حتى ينهض الناس من سباتهم ويقودهم لنيل حريتهم وهم الأحرار:

أو ما في العرب من قرم عنيد
ينقذ الأحرار من كيد العبيد
يا لها من غارة عبسية
كنت محسوبا لها يا بن سعود
هددتنا قوة غاشمة
صلت الحق بنار وحديد
واستباحت قدسه جاعلة
منزل الرحمة دار للقرود

ومع الإحباط الذي يملأ الشاعر، نجد ه يستفيق قليلا ويرجع بذاكرته إلى الوراء، ويتذكر مجد أقوام خلت، لعله يبث العزيمة وروح الجهاد في أمة نامت واستكانت لسطوة الاستعمار، يقول مفتخرا بأمته العربية:

أنجبتنا امةٌ ما برحت
تنجبُ الأبطالَ من قبل ثمود
ذرعوا الأرضَ سيوفاً وقنا
ثم رؤوها بإحسانٍ وجود
رقصوا الخيلَ على الطعن كما
رقصوا الطيرَ على خفق البنود
كل يوم يكشفُ العلمُ لهم
أثراً عن ذلك الماضي المجيد
كلما قيلَ انطوتْ أعلامهم
وانطووا هبوا إلى المجد من جديد
كالنجوم الزهر في أفلاكها
أبداً بين هوى وصعود
لم يضرنا راحةٌ بعد العنا
فالكرى يغمضُ أجفانَ الأسود
وسيبقى ما بنى أسلافنا
بالمزايا العرِ والعزم الحديد
فارتقبْ يا أيها المزري بنا
ليس يومَ البعث منا ببعيد

حملت كلماته معان ساميات، ولعلها ردا لمن يزدري بالعرب ومكانتهم، وتاريخ طويل حافلا بالمجد وبالانتصارات في شتى المجلات العلمية والحربية، وفيها كذلك استنهاض للهمم والذي مثل له (بيوم البعث)وهو يوم الثورة ويوم المحاسبة واسترجاع الحقوق.

وتعود الفجيعة إلى شاعر عندما أحس بالتخاذل من أبناء الأمة والبلدان تنهب وتستباح الواحدة تلو الأخرى، والأمة العربية في ثبات عميق لا احد يحس أو يشعر بما يجري ؛ كأن القلوب والإبصار قد عميت، فيبكي الشاعر هذه الفرقة،فيقول:

شعب كما شاء التخاذل والهوى
متفرق ويكاد أن يتمزقا
بغداد في خطر ومصر رهينة
وغدا تنال يد المطامع جلقا
ضعفت قوائمها ولما تروعي
غيها حتى تزول وتمحقا

وتتطاول قامة الفخر بالعروبة عند الشاعر إيليا أبو ماضي ، رداً على من يسال من أنت أيها الغريب، وتكتمل عنده عظمة الفخر،ويقول في فخر وكبرياء وشموخ وعزة:

أيها السائل عني من أنا
أنا كالشمس إلى المشرق انتسابي

أنا من حيث تشرق الشمس، أنا من المشرق الذي ملا الأرض علما ونورا، أنا من المشرق نور الحضارة ومبعث الإنسان ، أنا من المشرق أيها الجاهل موطني.

وتتعاظم القومية العربية عند إيليا فيشارك أبناء الوطن الآلام والأفراح، فهم كالجسد الواحد لم يفرقهم حسب أو دين:

بني وطني من أنا في الوجود
وما هو شأني وموضعي
أنا أنتم إن ضحكتم لأمر
ضحكتُ وأدمعكم ادمعي
ومطرب أرواحكم مطربي
وموجع أكبادكم موجعي
أما نحن من مصدر واحد
ألسنا جميعاً إلى مرجع؟

إنه انتماء روحي ووجداني ، فقد مثل القومية العربية الشاملة التي لم يفرق بين

بنيها دين أو حدود سياسية، فقد نادي بروح تجمع الأبناء في أحضن الوطن الكبير وتشاركهم آلامه وآماله.

تعاظمت الفرحة القومية الشاملة عند إيليا عندما انسحب المستعمر من سوريا وأعلن فرحته بعكس القروي، إذ لم يفرح لهذا الجلاء وكان القروي يريدها فرحة قومية وانسحابا من كل أ رض الوطن العربي، وفي هذا الجلاء يقول إيليا فرحا:

وكيف هشت دمشقٌ بعد محنتها
واسترجعتْ كل مسلوبٍ ومفقودِ
فاليومَ لا أجنبي يستبدُ بنا
ويستخفُ بنا استخفافَ عربيدِ

هذا ولم يخلو الحس العربي القومي عند إيليا عندما يتغنى متحسرا على فرقه أرض العروبة :

قل للحمائم من ضفاف الوادي
ياليتكنَّ على شقاف فؤادي
لترينَ كيفَ تبعثرتْ أحلامهُ
وجرتْ به الأيامُ خيلَ طرادِ

فستبدى به الشوق إلى بقاع سكنها وإلفها وترعرع على جنباتها:

ومواطنِ الأرواحِ يعظم شأنها
في النفسِ فوق مواطنُ الأجسادِ
حرصٌ على حبِ (الكنانة) دونهُ
حرصُ السجينِ على بقايا الزادِ

هذا شوق تخالطه اللهفة ويستبد بقلبه الحنين إلى ارض تركها مرغما ولكن مازال القلب علقا بها.

فقد أتت الصورة معبرة لما شملته من تشبيه وضعه الحالي، وهو بعيد بالسجين المنفي رغما عنه، وزاد من روعة التشبيه قوله: (حرص السجين على بقايا الزاد) إي لهفة هذه التي تتملك الشاعر إلى هذه الدرجة من الشوق والأسى في آن واحد؟.

الجدير بالذكر أن كل شعراء المهجر قد تشاركوا الإحساس بحال الأمة العربية عموما، وقد تأثروا - كما أوردنا مسبقا - بما آل إليه حال الأمة وتقاسموا هذا الإحساس وترجموه شعرا يفيض لوعة واسى وبكوا بالدمع السخين، فأخذوا يدعون الناس إلى التعاضد وإلى الوحدة ونبذ الخلاف،وأن يكونوا عصبة واحدة، وفي هذا المعنى يقول الشاعر نعمة الحاج متحسراً على حال الأمة العربية ، التي قسمها الخلاف، وغفلت عن كيد المستعمر وما يحكه ببلادهم:

دعوا النكبات عنكم وانبذوا الضغنا
ووحدوا الشعب لا ترموا به الفتنا
لا ينفع الخلفُ في قولٍ وفي عملٍ
وليس إلا الحقدَ والوهنا
إلى التفاهم قبل السعي واتحدوا
فما بغيرِ اتحادٍ تبلغون منى

ليت الحاكم اليوم يسمعون صرخة نعمة الحاج بالأمس ! فقد تشتت الوطن وضاعت القومية وهذا ليس بخاف عنا، والأرض تموج بالصراعات، والفتن تعصف بها من كل جانب، لك الله يا امة العرب. متى يلتئم شملك؟.

التسامح الديني:

عندما يرغب الإنسان أن يسامح من حوله، تتحرر نفسه من الماضي ومن العادات والمعتقدات الفاسدة التي تهدم الحياة، وتتمكن هذه النفس من تحقيق قدراتها وغاياتها وما هو أفضل للحياة.

إن التسامح الديني هو المحبة للناس جميعا على سواء،وهو أيضاً عدم التمييز بينهم على لون أو جنس، وهذا والمعنى للتسامح الديني يقوم على مبدأ قبول الأخر باختلافه وتباينه.

هذه كانت دعوة شعراء المهجر إلى كل الأمة العربية، أن تسامحوا، وأن أحبوا بعضكم بعضا، حتى يتحقق معنى ومفهوم القومية العربية، وحتى نكون إخوة متحابين فيما بيننا مسلم ومسيحي، لا فرق بيننا، فكل الأديان السماوية تدعو إلى المحبة والإخاء، ومن هذا المعنى أكد شعراء المهجر انتماءهم إلى الحضارة العربية التي هي جزء أصيل من الإسلام، وقد اعتبر هؤلاء الشعراء الإسلام بعدا روحانيا، وفكرا مهما في تكوينهم النفسي والعقلي؛ فضلا عن كونه رابطة قومية تجمع شمل العرب قاطبة مسلمين ومسحيين، لما جاءت به هذه الأديان من الدعوة للمحبة، فيذكرون الإنجيل إلى جانب القران ومحمدا صلى الله عليه وسلم إلى جاني يسوع أو عيسى عليه السلام، في تالف ومودة، يقول الشاعر رياض المعلوف في هذا المعنى:

يا صاحب الملك الذي لا ينتهي
أبداً وسدته الملا والسرمد
فالشعر في إنجيلنا وكتابنا
والشاعران هما المسيح وأحمد

ففي استخدامه لضمير الجماعة (كتابنا) إشارة إلى القران الكريم مؤكدا بذلك انتماء المسحيين العرب إلى حضارة الإسلام، وهذا تأكيد على قومية عربية شاملة دعت إليها الشرائع السماوية.

وتتجلى دعوة الإخاء واضحة عند الشاعر رشيد سليم في إشارة إلى نزعة قومية عربية، يقول:

أحبوا بعضكم بعضا وعظنا
بها ذئب فما نجت قطيعا
إذا حاولت رفع الضيم فاضرب

بسيف محمد واهجر يسوعا

إنها رسالة الأديان إلى التكاتف والمحبة، وان نكون ساعدا واحد نضرب بعزم من حديد كل من يريد أن يشق عصانا.

وتعم الشاعر الفرحة والسرور عندما يشارك المسلمين الاحتفال بعيدهم (عيد الفطر) ، مترجما دعوة الأديان إلى فعل على أرض الواقع، ولكنه يرنو إلى الفرحة الكبرى، فرحة التحرر من قيود المستعمر، ولعها دعوة إلى أبناء الأمة إلى التحرر:

أكرم هذا العيدُ تكريم شاعرِ
يتيهُ بآياتِ النبي المعظمِ
ولكنني أصبو إلى عيد امةٍ
محررة الأعناقِ من رقِ أعجمي
إلى علمٍ من نسج عيسى واحمدٍ
وآمنةَ في ظله أختَ مريمِ

وفي هذا الصدد يقول القروي مفتخراً بنبيه وبعروبته وبحضارته وبلغته (لغة القران) في سماحة دينية:

نبي لو ضجت شيوخ وبرهان
وهل بعد إعجاز ابن كندةَ برهان
وكل كلام يرفعُ النفسَ منزل
وكل مقال يفسد العقل بهتان
لا فرق في الآيات إلا أنها
لدى العقلِ آدابٌ وذي القلب أديان
إذا افتخرت أم اللغات على اللُغى
وأدت بفرقان اعرض ديوان

من جانب آخر نمى في دواخل شعراء المهجر عموما الإحساس العربي القومي العام، وهذا الإحساس منشؤه كمال الانتماء إلى وطن فسيح شامل، كيف لا وهم من ينادون من بقاع بعيد وأوطان بديلة إلى الحرية والى القومية والى الوحدة والتالف، ويتأكد هذا المعنى بقوة عند الشاعر إلياس فرحات، في انتماء عربي قومي واضح، فكل الديار العربية دياره، لا فرق بين لون أو جنس أو دم:

إنا وإن تكن الشآم ديارنا
فقلوبنا للعُربِ بالإجمالِ
نهوى العراقَ ورافديه وما على
أرضُ الجزيرة من حصى ورمالِ
وإذا ذُكرت لنا الكنانةُ خلتنا
نروى بسائغ نيلها السلسالِ
بنا وما زلنا نشاطر أهلها
مرُ الأسى وحلاوة الآمالِ

فقد شاطر الشاعر كل البلاد العربية ماساتها، وأوضح الحب المتجذر في دواخله لكل الأوطان، مشاركا فرحا وترحا.

القضية الفلسطينية :

فلسطين وما أدراك ما فلسطين، الخنجر المغروس في خاصرة العرب، فلسطين الجرح النازف، و الأرض المسلوبة والخير المنهوب، فلسطين التي إليها تذهب الآمال وتتقاصر في سبيلها الطرق، وقد بحت حناجر الشعراء من الأسى عليها،إنها أندلس أخرى، تغنى الشعراء بحسرة عليها، نادوا وتنادوا ولكن ليس هناك من مجيب.

لم تمر هذه القضية مرور الكرام على شعراء المهجر دون أن يدلوا بدلهم فيها، نالت منهم كل اهتمام فبكوا عليها دمعا سخينا، ورثوا شهداءها، وتحسروا على ماضيها التليد وحاضرها المبكي. ولكن لم تبح الأصوات التي تمجد الشهداء وتنادي أن مزيدا من الشهداء، يقول القروي:

أشهيداً علقوا أم جرساً
رنَ فاهتزَ له قلبٌ لا وجودِ
كلما استشهدَ منا بطلٌ
هتفَ الأجدادُ أهلا بالحفيدِ
وتلقى ابنُ زيادٍ روحهُ
بتهاليلِ الرضى وبنُ الوليدِ

هذا الشهيد المصلوب ما هو إلا كجرس الكنائس المؤذن للصلاة؛ عندما يرن تهتز له قلوب العُباد، وهذا معنى يؤكد الفزع الذي يدخله الشهداء في قلوب اليهود، وحتى وهو مصلوب وميت، ولكن من جانب آخر له بشري عند الذين سبقوه يستبشرون به ويحشر مع شهداء الإسلام الأوائل ابن زياد وابن الوليد، وهذا يدلل على المكانة العظيمة لهذا الشهيد حيا وميتا، فقد بذل روحة فداء لوطنه ودينه.

ولكن هل لليهود ذمة أو عهد يرعونه؟ وهل حكومات الغرب التي عملت طويلا على هذه القضية هل لهم عهد ووعد أيضا؟ أنهم كلهم مخادعون مارقون يراوغون كما يراوغ الثعلب، لم ينجزوا وعدا ولا عهدا قطعوه، وفقط المماطلة والمراوغة، وقد ندد شعراء المهجر بذلك بعد أن طال عليهم فجر الأمل.

يقول الشاعر سليم الخوري:

سقيناك يا غرب ماء الحياة
فكان وفاؤك نفث الحمم
تعلمت رعي النجوم وفاتك
أن تتعلم رعي الذمم

كلما قطع العرب مع حكومات الغرب وعدا تجاه قضية فلسطين، راوغت تلكم الحكومات ونكثت عهدها، وهذا دأبهم. ولكن الشاعر يؤكد لهذا الغرب ماذا تعني فلسطين للعرب ك إنها الجسد كله، بلحمه وعظمه ودمه وشحمه:

وإن فلسطين للعرب روحا
وجلدا ولحما وعظما ودم

ويؤازر سليم الخوري في ذات المعنى

الشاعر القروي، الذي يشرح مال الغرب عموما من المخادعة و نكث العهود:

من لعرض الحقائق

من أخاديع فاسق

سارق يدري به

نصف مليون سارق

كاشر للسلام عن

حنك كالجو الق

في فلسطين آية

للرسول المنافق

فيدخل في مقارنة حزينة بين دولة فلسطين ودولة اليهود المزعومة في فلسطين،فيقول:

لكم الفاسقون من

لقطاء الفواسق

ولنا دولة الأباء

وغرة الخلائق

كره العدل أن يرى

صاهلا خلف ناهق

إنها الوعود الكاذبة من الغرب ،وإنه التخاذل العربي والركون الذي ضيع فلسطين، ولكن يبقى السؤال:هل من صلاح الدين عربي يرفع الظلم والضيم عن فلسطين؟ وهل من سامع يسمع أنات الشعراء من لدن شعراء المهجر إلى درويش وغيره من من ماتوا بحسرتهم على فلسطين؟.

الخاتمة :

كانت الغربة وتباريحها جناحان للتحليق في سماء الخلق الفني للشعر المهجري، وقد استفاد الأدب العربي عموما – كما أوردنا سابقا– من هذه الغربة فتجدد وجه الأدب عموما وازداد رونقه، وأصبح الشعر على ألسنة شعراء المهجر تعبيرا عن الوجدان، ووصفا لخلجات النفس وخفقات الفؤاد بلغة جميلة تحمل مكنونات النفس ولواعجها ، خالية من التكلف والتصنع، فجعلته أدبا في الطليعة، ونفض بذلك غبار القرون الأولى وإن كان قد استفاد منها ولكنه لم يجري على منوالها. وقد سلمتنا قراءة الشعر المهجري إلى اكتشاف:

– أن الشعر المهجري كان فتحا جديدا في حياة الأدب العربي فقد رفده بعان جديدة.

– في الشعر المهجري نزعة ثورية ما أحوجنا إليها اليوم .

– دعا السعر المهجري إلى التكاتف والتآلف والترابط في قومية عربية شاملة قل أن نشعر بها في زماننا هذا.

– إن في شعر المهجر نزعة قومية شاملة مغروسة في نفوس هؤلاء الشعراء، بجانب النزعة الإنسانية والتسامح الديني الذي نفتقده اليوم.

– في شعر المهجر ثورة عارمة تنادى بها شعراء المهجر ما أحوجنا إليها الآن حتى تتقد القلوب ونلم شعث الأمة العربية الذي تبعثر .

وعليه نوصي بان تضمن المنهاج التربوية في المدارس وكليات الأدب في الجامعات العربية بدراسة وافيه ومستفيضة للأدب المهجري عموما؛ لما فيه من أسس التربية الوطنية التي نريد أن نربي عليها أبناءنا.